صنْعَةُ الجِنَاس في الفنون الكلامية الأدبية عند الإمام الكاظم (عليه السلام)

أ.د. أمل عبد الجبار كريم الشَّرْعِ الباحثة. شفاء علي مانع

جامعة بابل/ كلية الدراسات القرآنية

Workmanship of The Alliteratin in The Arts of literary speeh at Imam Kadhim (peace be upon him)

Prof.Dr. Amel Abed Jabar kareem Al-sharaa Researcher. Shefaa Ali Manaa

University of Babylon / College of Quranic Studies

bahaa.ali24@yahoo.com dr.amalalsharaa@gmail.com

Abstract:

Praise be to God and thanks him for the blessings and blessings and peace be upon his noble Prophet and on the people of his house infallible, and after:

Al-Badi'a had a clear place within the literature in general, and especially the art of antiquity. Imam Kadhim ،was able to employ this rhetorical art in his literature In a wonderful way, with the same excitement in the same recipient through the colors that will be mentioned in the search, see him captures the hearts of the achievement of this appearance of voice support, and semantic to achieve what is intended to reach.

Keywords: Anaphylaxis, Drosophila, congenital, anomalies, Antigen.

الملخص:

الحَمْدُ لله والشكرُ لهُ عَلَى ما أَنْعَمَ والصَّلاةُ والسلامُ على نبيه الأكرم وعلى أهل بيته المعصومين، وبعد:

لقد تَحَصَّلَ لنا دراسة الفنون الأدبية للإمام الكاظم (عليه السلام)، وبحثنا في فنونها الصوتية، والدلالية، والتركيبة، وقد كان لفن البديع المكانة الواضحة ضمن الأدب بشكل عام، وبالأخّص فن الجناس، إذ استطاع الإمام الكاظم (عليه السلام) أن يوظِّف هذا الفن البلاغي في أدبهِ بصورة رائعة، بما يبعثه من إثارة في نفس المتلقي من خلال ألوانه التي سنذكرها في البحث، فتراه يأسر القلوب لما يحققه هذا المظهر من دعم صوتي، ودلالي على تحقيق ما يُراد الوصول اليه.

الكلمات المفتاحية: الجناس، الجناس الاشتقاقي، الجناس المضارع، الجناس المقلوب، الجناس التذييلي.

المقدمة:

يَعدُّ أحد العلوم البلاغية، وهو قسم من فنون البديع التي قسّمها العلماء إلى فنون بديعية لفظية، وأُخرى معنوية، إذ يرتبط بأصوات الحروف وبتباينها قلّةً أو كثرةً في الدلالة على المعاني المطلوبة أو اتساقها وتطابقها في الألفاظ مع تباين الدّلالة واختلافها[1]، وهو وسيلة من وسائل البناء الموسيقي في النصّ الأدّبي[2]، وتظهر أهميته وقيمته في التأثير البليغ، إذ تجذب السامع، وتحدث في نفسهِ ميلاً إلى الإصغاء والتلذذ بنغمهِ العذبة، وتجعلُ العبارة على الأذنِ سهلة مستساغة، فتجد من النفس القبول والتأثير وتقع من القلب أحسن موقع[3].

والجنس لغةً: "الضربُ من كلّ شيء، وهو من الناس والطير، والعروض والأشياء عامةً، والجمع أجناس وجُنوس، والجنس أعمّ من النوع، ومنه المجانسة والتجنيس".[4].

ويقال هذا يجانس هذا أي شاكله, وفلان يجانس البهائم, ولا يجانس الناس اذا لم يكن له تمييز ولا عقل[5].

(1) يُنظر: البلاغة العربية(المفهوم والتطبيق) أ.د. حميد آدم ثويني، دار المناهج، عمان، ط1، 2006م.: 349.

(2) يُنظر: علم البديع، د.عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط)، 1985م، 163 وينظر: المعجم الوسيط قام بإخراجه (ابراهيم –مصطفى احمد حسن الرماحي، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، دار الدعوة، اسطنبول، ط4، 1989م: 140.

(3) يُنظر: البلاغة العربية: 252.

(4) لسان العرب: ابن منظور (ت711هـ)، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1955م. (مادة صَنَعَ).

(5) يُنظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مكتبة المجمع العلمي العراقي، (د.ط)، 1981م.: 264.

وفي الاصطلاح: هو اتفاق لفظين أو أكثر في الحروف أو في بعضها[1]، ويُعد في اصطلاح البديعيين: اتفاق الكلمتين في كل الحروف، أو أكثر مع اختلاف المعنى' أي أن يتفقَ اللفظانِ في النطق ويختلفا في المعنى[2].

فقد تناوله أرباب البديع بعبارات مختلفة اللفظ متفقة المعنى, وقد تناوله أبو العباس ثعلب (ت291هـ) حين أورد تعريفه للجناس بقوله: "تكرير اللفظة بمعنيين مختلفين تطابقا" [3]،

وهذا يعني وجود إشارات لهذا الفن قديماً قبل أن يتناوله أصحاب البلاغة بالتفصيل،

وجعله ابن المعتز(ت296هـ) ثاني أنواع البديع الخمسة التي عدّها في كتابه البديع، وعرّفه بقوله: " التجنيس هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر أو كلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها"[4]، وعدّ التجنيس اصيل في اللغة العربية لكثرة ترادفاتها وتقارب جرس الفاظها، وان المجانسة كائنة في ذات اللفظة وما يشتق منه من معنى[5].

وأما قدامة بن جعفر(ت 337هـ),فقد أخذ مظهر(المطابق) من ثعلب وحوله عنوانا للجناس التام، فهو يرى المتجانس بقوله:"هو أنْ تتكونَ في الشعر معانٍ متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقه"[6]، وواضح من تعريفه عنايته بالجانب اللغوي، وإنْ انطبق على جزء من الصيغة الاصطلاحية للجناس[7].

ولا يختلف أبو هلال العسكري (ت 395هـ)عن الذين تقدّموه من ناحية التعريف، بل تراه يتبع ابن المعتز لتعريفه للجناس بقوله: "بأن يورد المتكلّمُ كلمتين تجانس كل منهما صاحبتها في تأليف حروفها"[8].

عدُّ الجناسُ من المباحث البلاغية البديعية المهمة, لذا خصّه العلماء بالبحث والتتبع بوصفه علامة مضيئة في وجه الكلام لما يتمتع به هذا الفن من أسلوبية وانسجام مع المعنى الذي يُراد من أجله، فيبدو من ذلك انّ المُجَنّس يلجأ الى التجنيس لاختلاف الأذهان وروعته في إفادة المعنى[9], فإن تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى[10], حمل الأديب أنْ يأتي بها هكذا لِيُثِير السامع مرتين:

1) حين يوهمه للوهلة الاولى بأن المعنى فيهما واحد.
2) حين تتنبه قدرات السامع لمعرفة المعنى المراد من الكلمة الثانية عندما يُدرِك بأن المقصود بهما معنى آخر.

يقولُ عبد القاهر الجرجانيّ(ت471هـ):" أمّا التجنيس فانك لا تستحسن اللفظتين, إلاّ إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعًا حميدًا, ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرميً بعيدًا"[11].

---

(1) الصناعتين الكتابة والشعر، تصنيف ابي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البيجاوي، محمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1427/2006ه.: 288.
(2) البلاغة فنونها وافنانها(علم البيان والبديع)، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، ط1، 2005م. 299؛ يُنظر: البلاغة العربية(المفهوم والتطبيق): 350؛ يُنظر: جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، 1980م: 270.
(3) قواعد الشعر: أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، تحقيق: رمضان عبد التواب، القاهرة، (د.ط)، 1966م: 56.
(4) البديع: عبد الله بن المعتز(ت296ه)، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس /اغناطيوس كراتشفوفسكي، منشورات دار الحكمة حلبوني-دمشق، (د.ط)، (د.ت): 25.
(5) يُنظر: جرس الالفاظ: 270.
(6) نقد الشعر، أبي الفرج قدامة بن جعفر، مطبعة الجوانب، القسطنطينية، ط1، 1302ه: 163.
(7) يُنظر: ظاهرة الجناس في خطب الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام)، أ.م.د حسين عبد العال اللهيبي، جامعة الكوفة، مركز دراسات الكوفة، بحث منشور(موقع في رحاب البلاغة).
(8) الصناعتين: 289.
(9) يُنظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة-دراسة في الشكل والمضمون، د.عباس علي حسين الفحام: 305.
(10) يُنظر: البلاغة العربية في فنونها: 51؛ويُنظر: المختار من علوم البلاغة والعروض: 163؛ ويُنظر: البلاغة و الاسلوبية(مقدمات عامة) د. محمد عبد المطلب، 1984، الهيئة المصرية العامة للكتاب.: 14
(11) أسرار البلاغة، أبوبكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، محمود محمد شاكر، الطبعة الأولى، 1902م: 7.

مّما تقدم يرى الدكتور محمد زغلول سلّام أنَّ الجناس تعبير لفظي يهدف الى ناحيتين[1]:

الاولى: صوتية: وهي توفير نوع خاص من الانسجام في النغم والتقارب في الأصوات, لأنه صنف بلاغي يرجع إلى جرس الكلمة وتأليف حروفها وانسجام هذا التأليف في النطق.

الثانية: معنوية: هي سرعة الاستدعاء اللفظي للمعنى المراد والتعبير عنه, هذا ما أراده الرماني في تعريفه للجناس[2]. فالجناس على ما يحدثه من نغمات صوتية أسلوبية هائلة للنص إلاّ أنَّه في بعض الأحيان قد يكون مكروهًا, وذلك إذا خرج عن المعنى المراد إليه.

حظَت النصوص الأدبية للإمام موسى الكاظم (عليه السلام) بأنواع الجناس لقدرته على تحريك مشاعر المسلمين بوجه خاص والمتلقين بوجه عام، فالتجنيس في كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) اقتفاء طريقة وتمثل اسلوب, ولا غرابة فالإمام (عليه السلام) متأثر في كليات التعبير القرآني وجزئياته على حد سواء. فهو قد يتتبع البناء العام لأسلوب الصياغة القرآنية وقد يأخذ من أجزاء العبارة القرآنية ما يبني به جملة[3]. وقد ورد الجناس في مواضع متفرقة من الأدعية، والرسائل، والحكم، والمناجيات، أُثريت به عباراته بالجرس والإيقاع, ومن اقسام الجناس ما يأتي:

اولاً: الجناس اللفظي: وهو ما تماثل ركناه لفظاً، واختلف أحد ركنيه عن الآخر خطاً، وإما الاختلاف في الكتابة بالنون والتنوين.[4] ومن أنواعه:

-**الجناس التام:**[5] "هو اتفاق اللفظين في كلَّ شيء عدا المعنى، أي في نوع الحروف وترتيبها وهيأتها وحركاتها وسكناتها وعددها"[6]. وَيرد بتعريف آخر" وهو أنْ يأتي المتكلم بكلمتين متفقتين لفظًا مختلفتين معنىً، ولا تفاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركاتهما سواء أكان في اسمين, أم فعلين, أم اسم وفعل أو اسم او حرف"[7].

ويُعد الجناس التام من أركان جُرس الألفاظ وأعلى أنواع الجناس[8]. ويسميه القاضي الجرجاني (ت366هـ) المستوفي[9]، بينما أطلق عليه ابن الاثير(ت637هـ)، التجنيس الحقيقي[10]، وصورته أن يتفق اللفظان المتجانسان في أنواع الحروف وأعدادها وهيأتها وترتيبها[11]، كقوله تعالى: "**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ**"[12]، وقع الجناس بذكر الساعة مرتين (الساعةُ وساعةٍ)، ولكل منهما معنى معين، إذ تعني الاولى يوم القيامة وتعني الثانية مدة محدودة من الزمن، واستخدام لفظة واحدة لمعنيين مختلفين يثير ذهن السامع ويتنبه الى إدراك المعنى الآخر المراد من اللفظ، وقد لاحظنا ما اورده الدكتور محمد علاء السلطاني في هذا الجانب من تعريفه للجناس التام بقوله: "هو أن تتفق اللفظتان في كلّ شيء عدا المعنى، مما يثير النفس بقوة للبحث عن وجوه الاختلاف في المعنى وما وراء ذلك من مراده"[13].

(1) يُنظر:حلية المحاضرة، محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي ابو علي(ت388ه)، تحقيق/هلال ناجي، دار الرشيد، بغداد وزارة الثقافة:ج146/1.
(2) يُنظر: النكت في اعجاز القرآن، لابي الحسن الرماني(ت386ه)، ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، تحقيق د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، 1976م: 99-100.
(3) المصدر نفسه: 308.
(4) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد احمد الهاشمي إشراف صدقي محمد جميل، مؤسسه الصادق، طهران، مطبعة امير، ط1، 1379ه: 347.
(5) يُنظر: فن البديع، د.عبد القادر حسين، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط1، 1403ه/1983م: 109.
(6) البلاغة العربية في فنونها: 51 ؛البلاغة والاسلوبية: 144 ؛ المختار من علوم البلاغة والعروض: 164.
(7) وقد يسمى الحقيقي: شرح نهج البلاغة(رؤية اعتزالية)، ابن أبي الحديد المعتزلي، رؤية اعتزالية عن الأمام علي (ع) (دراسة وتحقيق)، جواد كاظم النصر الله، نشر ذوي القربى، ط1، (1384هـ).: 445.
(8) يُنظر: الاثر القرآني في نهج البلاغة (دراسة في الشكل والمضمون): 309.
(9) يُنظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت366هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1364ه-1945م.: 42؛ وأسرار البلاغة: 22-23.
(10) يُنظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين المعروف بابن الأثير، تح محي الدين عبد الحميد، 1939، مصر: 343/1.
(11) يُنظر: التلخيص في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، ضبطه وشرحه عبدالرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، ط2، 1932م: 388.
(12) الروم: 55.
(13) البلاغة العربية في فنونها: 51-52.

ثانياً: التجنيس الاشتقاقي:

هو في حقيقته تكرار ليس بذات اللفظ؛ وإنما بما يشتق منه[1]، فيكون فيه اختلاف بالأحرف واتفاق بالجذر اللغوي الذي أُشتُقت منه الكلمتان، ولم يشترط فيه غير هذا ولذا يطلق عليه بعضهم بـ(المطلق)[2]، أي أن ألفاظه المتجانسة تعود إلى جذر لغوي واحد. وهذا النوع هو أقل شيوعاً، يسبقه التجنيس المضارع، وقد جاء هذا الضرب من التجنيس بالمرتبة الثانية من حيث الشيوع، ومنه ما جاء في قنوت الإمام (عليه السلام)، "يا مفزع كل فازع... يا مطمع كل طامع.."[3]

وفي قول آخر له (عليه السلام) " ربِّ فأعذني بعياذك، فبعياذك امتنع عائذك"[4]

هنا نلحظ مجيء الألفاظ (مفزع، فازع) و(مطمع، طامع) و(اعذني، عياذك، عائذك)، وقد جمعها الاشتقاق, وفي هذه الألفاظ نجد تشابهاً واختلافاً, فالتشابه من حيث الجذر اللغوي والاختلاف من حيث المعنى. فـ(أعذني) فعل أمر يدلّ على الطلب ممّن يستطيع القيام بـ(الإعادة) فأعذني أنت والمقصود (سبحانه عز وجل). فنحن من أستعذنا بك فهو يدّل على الطلب؛ لأن من معاني (أفعل) الطلب[5]، فالاستعادة هي الالتجاء والاعتصام والتحصن[6]، أما اصطلاحا: لفظ يحصل به الالتجاء الى الله تعالى والاعتصام والتحصن به[7]، ولتحقق هذه الاستعاذة واقعاً لا بد من عزم، و ايمان لدرجة اليقين، هو أنَّ التحصين بالله عز وجل هو خير وسيلة للأمان من الوقوع في اغراءات الحياة المتعددة، وهذه النتيجة متحصلة من قول الامام نفسه، (فبعياذك أمتنع عائذك)، وهذا التكامل متحقق يقيناً عنده (عليه السلام) لذا قال: فبعياذك أمتنع عائذك، وهو مشتق من الفعل (أعاذ) ويدلّ على الثبوت والقطعية، ونلحظ أنَّ الصيغ الثلاث المشتقة من (اعوذ) جاءت منسجمة مع النص لكونه دعاء، (اعذني، عياذك، عائذك) فالصيغة الأولى (أعذني) دالة على الطلب، أنت يا رب، والثانية نحن (نستعيذ بعياذك) يا رب؛ لأنك أنت المعيذ، فالتجنيس هنا جاء لتعضيد المعنى، فالمحل أو الموضع موضع طلب ومسألة، فاستكفى(عليه السلام) بالمعيذ (سبحانه)، وبذا نجد التجنيس مائزاً واضحاً في النص؛ لأنه جاء مآزراً للمعنى ومناصراً له[8].

إنَّ هذا النوع من الجناس يتمتع بمستوى نغمي عالٍ, لأنه لم يتم فيه تكرار المفردة نفسها، بل تكرار بعض الأحرف مما يؤدي إلى خلق موسيقى خاصة. فإن لتوظيف هذا اللون من التجنيس أثراً في توليد موسيقى الانقطاع, فانقطاعه (عليه السلام) كان يخلق أنغاماً تسمو بالأرواح وتستأثر بالعقول وترقق القلوب فتسبل الدموع؛ لعذوبتها ورقتها وشفافيتها في قدرتها على التعبير عن حال السامع.

ومن ذلك قوله (عليه السلام): " **أجعلني لك من العابدين، و لأنعمك من الشاكرين، ولآلائك من الذاكرين، وأرحمني برحمتك يا أرحم الراحمين**"[9], وهنا نجد الجناس الاشتقاقي الذي جعلته (الياء مع الألف) و(الياء مع النون) يبدو متموجاً؛ لأنه قال (عليه السلام) على سبيل الطلب والرجاء اجعلني عابداً، شاكراً، ذاكراً، فقدّم العبادة وقرنها بالشكر وذلك لإدامتها ثم الذكر، ثم مد صوته في آخر العبارة بـ(يا) النداء فقال (يا أرحم) ثم (الراحمين) التي اختتمت بحرف المد (الياء) وإلحاق النون بها. فنجد يا أرحم ابتدأت بمد والراحمين اختتمت به ورحمتك لم يأتِ مدٌ فيها. فلو تخيلنا شكل الموجة الصوتية الناجمة من نطق هذه العبارة لوجدنا (رحمتك) تكون مستقيمة و(يا أرحم) تكون قمة الموجة و(الراحمين) تمثل قعرها، وإن هذا التنوّع النغمي متجانسٌ مع التنوّع المعنوي؛ لأن (أرحم) هو الأكثر رحمة من غيره ورحمته أشمل و(راحمين) هي صفة لمن يمتلكون الرحمة، ولكن رحمتهم قياساً برحمة (أرحمهم وهو العزيز المقتدر) لا تعدّ شيئاً. فهذه اللفظة عند نطقها نجدها تدل على الجمع والكثرة، ولكن لو تأملنا في دلالتها هنا لوجدنا هناك تغايراً بين اللفظ والدلالة؛ على

(1) ينظر: جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، : 255.
(2) ينظر:- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن إبراهيم العلوي، 1914م، مطبعة المقتطف، مصر 360/2.
(3) الصّحيفة الكاظميّة الجامعة: السّيد محمّد باقر الموحد الأبطحيّ، تحقيق: مؤسسة الإمام المهديّ، ط 1، مطبعة إعتماد، قم، إيران، 1423هـ: 120
(4) المصدر نفسه: 58
(5) ينظر: المهذب في علم التّصريف: د. هاشم طه شلاش، وصلاح مهديّ الفرطوسيّ، وعبد الجليل عبيد حسين، بيت الحكمة، جامعة بغداد، 1989م، 96.
(6) غاية المريد في علم التجويد، عطية قابل نصر، مدرس في قسم الدراسات القرآنية، بكلية المعلمين، عميد معهد القراءات بالقاهرة سابقاً: 44.
(7) الاضاءة في اصول القراءة، علي محمد الضباع، المكتبة الازهرية للتراث: 6
(8) ينظر: أسرار البلاغة، أبوبكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، محمود محمد شاكر، الطبعة الأولى للكتاب سنة 1902م، 8.
(9) الصحيفة الكاظمية الجامعة: 70.

الرغم من جمعهم إلّا أنهم أقل رحمة. ولذا طلب (عليه السلام) رحمته (سبحانه) لا رحمة الراحمين. فجاءت مدة (الألف) في (يا) النداء منسجمة مع دلالة المنادى, ومجيء (الياء والنون) في نهاية (الراحمين)، واللذين يمكنان من التطريب[1]، يجانس دلالة المفردة؛ لأن مد الصوت بها فيه ضعف وانكسار فضلاً عن الأنين، وكأن انكسار (الياء) في هذا المقطع جاء محاكياً للانكسار الحقيقي الذي يعيشه ويتحسسه السائل (عليه السلام). وهذا الضعف والانكسار يتواشج مع قلة رحمة هؤلاء الراحمين مقارنة برحمته (سبحانه) فهذا التجانس اللفظي الاشتقاقي ولّد تجانساً صوتياً، دلالياً.

فالتجنيس علاوة على أثره في تأكيد النغم ورّنته فإن له أثراً أيضاً في تصوير المعنى[2], وتأكيده. وإن هذا النوع من التجنيس فيه حرية أكثر؛ لأنه لا يشترط فيه سوى الاتفاق في الجذر, فهو لا يتحدد ولا يتقيّد بالصيغة وعدد أحرف الزيادة والنقصان ولا تقديمها ولا تأخيرها. فهو وليد الطبع والسجية وفيه استرسال أكثر من غيره. ومن أمثلة (التجنيس الاشتقاقي) الأخرى ما جاء به في دعائهِ لدفع البلاء التي يقول فيها(عليه السلام): **((فلن يضرني بغي الباغين، ولا كيد الكائدين، ولا حسد الحاسدين، ابد الآبدين..))**[3].

فالتراكيب (بغي الباغين) و(كيد الكائدين) و(حسد الحاسدين) و(ابد الابدين) شكلت وحدة إيقاعية خاصة بفعل التكرار السجعي المائز للأصوات المتآلفة في مواضع التجنيس تشابهاً جرسياً و"التشابه في الجرس يدفع الذهن إلى التماس معنى تنصرف إليه اللفظتان بما يثيره من قوة الجناس"[4].

فالمنتج (عليه السلام) وظّف الامكانيات الدلالية في جرس الألفاظ ذوات الجذر اللغوي الواحد لُتسِهم في رسم المعنى الذي يُريد، فوفرة المعاني المتحققة بوساطة الجناس الاشتقاقي أصبحت أكثر كثافة وتكاملاً بوساطة ازدواج ذلك التجنيس؛ لأن اللفظتين المتجانستين احداهما ضميمة للأخرى على جهة التتمة وتكملة المعنى, فنجد الثانية تجانس الاولى لتكمل معناها وتُقرر فائدتها[5].

ثانياً: التجنيس المضارع

أما ثاني أنواع التجنيس هو(التجنيس المضارع)، يعرف بأنه: الجمع بين كلمتين متجانستين لا تفاوت بينهما إلّا بحرف واحد[6]، لتفرّد كل من اللفظتين بالمعنى فينتج عنه تكرار صوتي واختلاف دلالي، وهذا ما يجعل النص يزدان به، وأكثر ورود هذا النوع من التجنيس في المناجاة، أكثر منه في الادعية والمناجيات، وقد يعود ذلك إلى أن الدعاء والمناجاة تتمتع بزخم عاطفي (وجداني) أكبر منه في الادعية، لكونها فيها انقطاع إلى الله تبارك وتعالى ولابتعادها عن المطالب الدنيوية وهذا ما يؤكده شيوع عبارات التنزيه والتقديس للذات العليا جل شأنها علاوة على استشعار قرب المدعو ودنوه من الداعي ما يوّلده التصور الناتج عن الحوارية المعتمدة في أسيقة المناجاة، ولعل في التجنيس إيقاعياً ما يوازن ذلك الشعور الوجداني، ومن أمثلة هذا النوع من التجنيس، قول الإمام الكاظم (عليه السلام):

((بسم الله الرحمن الرحيم، سبحانك اللهم وبحمدك، أثني عليك وما عسى ان يبلغ من ثنائي عليك، وأمجدك مع قلة عملي وقصر ثنائي، وانت الخالق وانا المخلوق، وانت الرازق وانا المرزوق وانت الرب وانا المربوب وانت القوي وانا الضعيف، وانا السائل وانت الغني قضاؤك فصل، وحكم عدل، وامرك جزم، لا يزول ملكك، ولا يبيد عزك، ولا تموت، وانا خلقٌ اموت وازول وافنى، وانت الصمد الذي لا يطعم، والفرد الواحد بغير شبيه، والدائم بلا مدة، والباقي الى غير غاية، والمتوحد بالقدرة والغالب على الامور بلا زوال ولا فناء، تعطي من تشاء كما تشاء، المعبود بالعبودية، المحمود بالنعم، المرهوب بالنقم، حي لا يموت صمد لا يطعم، قيوم لا ينام، جبار لا يظلم، محتجب لا يرى، سميع لا يشك، بصير لا يرتاب، غني لا يحتاج، عالم لا يجهل، خبير لا يذهل ابتدأت المجد بالعز،

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- دار احياء تراث الكتب العربية، ط1، 1975، 68/1.

(2) ينظر: المرشد إلى فهم اشعار العرب وصناعتها: د. عبد الله الطيب المجذوب، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1955: 233/2.

(3) الصحيفة الكاظمية الجامعة: 43.

(4) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: 284.

(5) ينظر: الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، يحيى بن حمزة بن إبراهيم العلوي، 1914م، مطبعة المقتطف بمصر: 2/ 364.

(6) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 1/ 156.

وتعطفت الفخر بالكبرياء، وتجللت البهاء بالمهابة، والجمال بالنور، واستشعرت العظمة بالسلطان الشامخ، والعز الباذخ، والملك الظاهر، والشرف القاهر، والكرم الفاخر، والنور الساطع، والالاء المتظاهرة، والاسماء الحسنى، والنعم السابغة، والمنن المتقدمة، والرحمة الواسعة...))[1].

قراءة النص تُفصح عن كثرة واضحة للتجنيس المضارع أو التضارعية، الذي وزعه الإمام(عليه السلام) بعناية بين فِقَر النص توزيعا أبعده عن دائرة التشبع، وجعله يتمتع بموسيقية عالية من خلال اعتماد التباين بين فقرة وأخرى، وباعتماد ما تقدم، يصدق القول بأن " الدعاء يظل أكثر الأشكال التشريعية احتشاداً بأدوات الفن بخاصة عنصر الإيقاع، ولعل السر الفني وراء ذلك كامن في طبيعة عنصر التلاوة التي يمتاز بها الدعاء عن غيره"[2]، وتبعا لذلك فإن التلاوة تتطلب توقيعاً يتمظهر بسجع وتكرار وتجنيس بتوافق وتداخل بين الوحدات الصوتية والبنى التركيبية، ومن ثم التوزيع بين أسيقة النص على وفق الإنتاج الدلالي المقصود، ولتأكيد حضور التداخل الإيقاعي الدلالي في بنية النص نقف عند قول الإمام(عليه السلام) **(لا يزول ملكك، ولا يبيد عزك، ولا تموت)** يكشف لنا البناء الهندسي عن المستوى الإيقاعي المتولد من السجع المعتمد في بناء المقطع، علاوة على ما يضفيه التجنيس من زخم إيقاعي يمتد بامتداد حرف المد(اللام)، هذا الامتداد الإيقاعي قابله الإمام(عليه السلام) بانفتاح دلالي التي توفر دلالة زمنية تتسم بالدوام[3] والانفتاح الحركي المعبِّر عن ديمومة الفعل.

ثالثاً: التجنيس المقلوب

ويسمى هذا النوع من التجنيس المقلوب والمعكوس والمخالف "وهو ما اختلف فيه ترتيب حروف اللفظتين واتفقا في النوع والعدد والهيأة"[4]. وهذا اللون من الجناس يقع في الحروف والألفاظ[5]، ففي قول الإمام (عليه السلام): "**يا من هو في علوه دان، وفي دنوه عال**"[6]، فانسبكت العبارتان صوتياً ودلالياً؛ لترديد مفردات متقاربة صوتياً ومتباعدة ترتيبياً, إذ أنَّ ترتيبها معكوس. وهذا الانعكاس أو القلب أعطى معاني مغايرة لتلك الألفاظ المعكوسة؛ فانعكست المعاني لانعكاس الترتيب، لأن الإمام (عليه السلام) طلب الاستغفار من الذنوب، ثم تبعها بقوله " يا من هو في علوه دان" كناية عن قرب الله عز وجل من السائل، وهذا ما يؤكد قوله تعالى: ﴿**واذا سألك عبادي عني فأني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعانِ**﴾[7]، لتسليم الأمور إلى الله تعالى، لأنه عز وجل هو القادر الأوحد على مغفرة الذنب قلت أو كثرت يدلنا على ذلك قوله (عليه السلام) "استغفرك من الذنوب التي لا يغفرها غيرك" رضى وقبول من دون أدنى ريب، إنّ قلب الألفاظ يشتمل على وعي وقصدية في إعادة الهيكلة الذهنية, فجناس القلب يفيد شمول المعنى، ويعمل على ازالة الملل والرتابة لدى السامع، أو القارئ.

رابعاً: التجنيس التذييلي

هو اختلاف اللفظان بزيادة حرف أو أكثر في أولهما أو آخرهما[8]. إذ نلاحظ في (بصري- بصيرتي) و(اعف- عافنا) تجانساً صوتياً، ولكن لا يوجد تجانس، او تشاكل معنوي بين كل لفظتين؛ لأن البصر هو إشارة إلى الحاسة المعروفة التي يتم بها رؤية الماديات. أما البصيرة فهي الحجة والأستبصار في الشيء، وهي عقيدة القلب[9]. وهذا الجمع بين الألفاظ المتقاربة في اللفظ والمتباعدة في المعنى منح النص بعداً تصويرياً كان للمستوى الصوتي دوراً بارزاً فيه. وكذلك الحال (اعف- عافنا) فالعفو "هو التجاوز عن الذنب

(1) الصحيفة الكاظمية الجامعة: 19-20.
(2) الإسلام والأدب، د. محمود البستاني، المطبعة ستاره، قم، ط1، 1422: 175.
(3) ينظر: تجليات في بنية الشعر العربي المعاصر، د. محمد لطفي اليوسفي، سرار للنشر، د. ت: 69.
(4) ينظر: المصباح في المعاني والبيان والبديع: بدر الدين بن مالك الشهير بـ(ابن الناظم)، حققه وشرحه ووضع فهارسه: د. حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، 190.
(5) ينظر: الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز: 368. والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: 1/ 273.
(6) الصحيفة الكاظمية: 35.
(7) البقرة: 186.
(8) ينظر: حسن التوسّل إلى صناعة الترسّل: شهاب الدين محمود الحلبي (725 هـ)، تح: أكرم عثمان يوسف، دار الحرية للطباعة، العراق، 1980: 187، والبلاغة العربية اسسها وعلومها وفنونها: 2/ 493.
(9) ينظر: لسان العرب (بصر): 4/ 65.

وترك العقاب عليه وأصله المحو والطمس"[1]. والعافية "إن يعافيه الله من سقم أو بلية وهي الصحة ضد المرض"[2]. وهنا أيضاً نجد تقارباً وتجانساً صوتياً وتباعداً معنوياً. ولكن على الرغم من أنَّ لكل مفردة معنى خاصاً إلّا أنَّ هناك تناسباً وتداخلاً دلالياً، ولكنه ليس بقريب, ويمكن الاستدلال عليه بالوجه الآتي؛ أنه (عليه السلام)، لما سأل الله (سبحانه) النور لبصره، وذلك لتمكنه الرؤية من السعي أكثر لكل ما فيه مصلحة دينه (عليه السلام)، كما أنَّ البصيرة في الدين تمكنه من رؤية الحقائق، أو قد يكون من وجه آخر, فالرؤية وأنْ كانت للأمور المادية الملموسة فإنها تشترك مع البصيرة التي هي للأمور المعنوية المحسوسة؛ لأن البصر يمكن من عدم التخبط في السير، والبصيرة تمكن من عدم التخبط في الدين ومن ثمَّ فكلاهما يدل على الرؤية.

الخاتمة:

إن النصوص الأدبية للإمام الكاظم(عليه السلام) اشتملت على المحسنات البديعية في نمط ممتاز وذلك من خلال الجناس الذي جاء بكثرة، بحيث ان له النصيب الأوفر، فقد تنوعت أساليبه وفنونه من الأكثر وروداً، فكان للفظي النصيب الاوفر منه بتقسيماته جميعها وكان لصنعة الجناس أثراً في الجرس الموسيقي وجمال الايقاع مما يدركه اهل الذوق الفني بحيث نجد صور الجمال الفني المتمثلة بموضوعات الجرس الموسيقي والحركة متداخلة في النص الواحد، من خلال تقسيماته وأنواعه التي جعلت النص يتفاعل مع الخصائص الإيمانية والفنية بحيث خرج لنا نص كامل متكامل متلاحم من جميع أطرافه.

المصادر والمراجع:

خير ما يُبتدئ به: القرآن الكريم.

(1) البلاغة العربية (المفهوم والتطبيق) أ.د. حميد آدم ثويني، دار المناهج، عمان، ط1، 2006م.

(2) علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت, (د.ط)، 1405هـ/1985م (3) المعجم الوسيط قام بإخراجه: ابراهيم مصطفى احمد حسن الرماحي، حامد عبد القادر, محمد علي النجار، دار الدعوة، اسطنبول, ط4، 1989م.

(4) لسان العرب، ابن منظور (ت711هـ)، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1955م.

(5) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مكتبة المجمع العلمي العراقي، (د.ط)، 1981م.

(6) الصناعتين الكتابة والشعر، تصنيف ابي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البيجاوي، محمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006.

(7) البلاغة فنونها وافنانها(علم البيان والبديع), د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان, ط1، 2005م.

(8) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1980م.

(9) قواعد الشعر: أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، تحقيق: رمضان عبد التواب، القاهرة، (د.ط)، 1966م.

(10) البديع، عبد الله بن المعتز(ت296هـ)، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس /اغناطيوس كراتشفوفسكي، دار الحكمة، دمشق، (د.ط)، (د.ت).

(11) نقد الشعر، أبي الفرج قدامة بن جعفر، مطبعة الجوانب، القسطنطينية، ط1، 1302هـ.

(12) ظاهرة الجناس في خطب الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام),أ.م.د. حسين عبد العال اللهيبي، جامعة الكوفة، مركز دراسات الكوفة، بحث منشور (موقع في رحاب البلاغة).

(13) الأثر القرآني في نهج البلاغة – دراسة في الشكل والمضمون, د. عباس علي حسين الفحام.

(14) البلاغة و الاسلوبية (مقدمات عامة)، د. محمد عبد المطلب، 1984، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(15) أسرار البلاغة، أبوبكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الفارسي الأصل، محمود محمد شاكر، الطبعة الأولى، 1902م.

(1) لسان العرب، مادة (عفا): 15/ 72.
(2) المصدر نفسه: 72/15

(16) حلية المحاضرة، محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي ابو علي(ت388هـ)، تحقيق: هلال ناجي، دار الرشيد، بغداد.
(17) النكت في اعجاز القرآن, لابي الحسن الرماني(ت386هـ), ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن, تحقيق د. محمد زغلول سلام, دار المعارف, القاهرة, 1976م.
(18) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع, السيد احمد الهاشمي، إشراف صدقي محمد جميل, مطبعة امير، طهران، 1379هـ.
(19) فن البديع، د. عبد القادر حسين، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط1, 1983م.
(20) شرح نهج البلاغة (رؤية اعتزالية)، ابن أبي الحديد المعتزلي، رؤية اعتزالية عن الأمام علي (ع) (دراسة وتحقيق)، جواد كاظم النصر الله، نشر ذوي القربى، ط1، 1384هـ.
(21) الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت366هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1945م.
(22) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، مصر، 1939.
(23) التلخيص في علوم البلاغة, للخطيب القزويني, ضبطه وشرحه عبدالرحمن البرقوقي, المكتبة التجارية الكبرى, ط2, 1932م.
(24) كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن إبراهيم العلوي، مطبعة المقتطف، مصر، 1914م.
(25) الصّحيفة الكاظميّة الجامعة: السّيد محمّد باقر الموحد الأبطحيّ، تحقيق: مؤسسة الإمام المهديّ، ط 1، مطبعة اعتماد، قم، إيران، 1423هـ.
(26) المهذب في علم التّصريف: د0 هاشم طه شلاش، وصلاح مهديّ الفرطوسيّ، وعبد الجليل عبيد حسين، بيت الحكمة، جامعة بغداد، 1989م.
(27) غاية المريد في علم التجويد، عطية قابل نصر، مدرس في قسم الدراسات القرآنية، بكلية المعلمين، عميد معهد القراءات، القاهرة.
(28) الاضاءة في اصول القراءة، علي محمد الضباع، المكتبة الازهرية للتراث.
(29) أسرار البلاغة، أبوبكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، محمود محمد شاكر، الطبعة الأولى، 1902م.
(30) ينظر: البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي, تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء تراث الكتب العربية, ط1, 1975.
(31) المرشد إلى فهم اشعار العرب وصناعتها: د. عبد الله الطيب المجذوب، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر, ط1, 1955.
(32) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، يحيى بن حمزة بن إبراهيم العلوي، 191م، مطبعة المقتطف، مصر.
(33) الإسلام والأدب، د. محمود البستاني، المطبعة ستاره، قم، ط1، 1422.
(34) تجليات في بنية الشعر العربي المعاصر، د. محمد لطفي اليوسفي، سرار للنشر، د.ت.
(35) المصباح في المعاني والبيان والبديع: بدر الدين بن مالك الشهير بـ(ابن الناظم)، حققه وشرحه ووضع فهارسه: د. حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب, المطبعة النموذجية.
(36) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز: 368. والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر.
(37) حسن التوسّل إلى صناعة الترسّل: شهاب الدين محمود الحلبي (725هـ)، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، دار الحرية، العراق، 1980.